

أ_ حبیب قءومة .
مليانة
جامعة الجيلاي بونعامة بخميس

النشاط الاقتصادي لمدينة البليدة

إبان الفترة العثمانية 1535 . 1830.

مقدمة :

ان التقهر والفوضى والانحلال، والتدخل الخارجي، والهجرة الداخلية والخارجية، تلك هي الكلمات التي تلخص لنا حالة بلاد الجزائر المؤلمة في أوائل القرن السادس عشر، هذا ناهيك عن الضعف الاقتصادي والعسكري الذي جعلها فريسة سهلة المنال بيد الاسبان . فاستولوا على المرسى الكبير 911هـ / 1505م، ووهران 914هـ / 1509م، وبجاية 916هـ / 1510م، وأفزعوا مدينة الجزائر بمدافعهم المنصوبة في قلعة (بينيون) القائمة بمرسى المدينة.

الا ان فطنة اهالي الجزائر لما يحوم بهم من مخاطر جعلهم يستنجدون بالآخوين عروج و خير الدين ، اللذان اعدا العدة و العدد ليتواجه الطرفان في معارك عنيفة ، انتهت بانتصار الجزائريين ، و طرد الإسبان من مدينة الجزائر، وبذلك تم للأخوان بربروس فتحها ، وكان هذا سنة 923هـ/1517م ، من هنا ظهر شعاع الامل لتنتقل مسيرة التشيد و البناء ، و غير بعيد عن مدينة الجزائر و بفضل جهود رجلين اولهما رجل سياسة ، وهو خير الدين و ثانيهما هو سيدي أحمد الكبير ، الذي تأسست على يده مدينة البليدة عام 1535م بمحاذاة مدينة خزرونة القديمة ، بعد أن أقطع خير الدين بربروسة أراضيها للأندلسيين الذين بادروا ببناء حمام وفرن ومسجد ، لتتواصل عملية توسعة المدينة لتشهد في فترات لاحقة ازدهارا في شتى مجالات حياة ساكنتها وفي مقدمته المجال الاقتصادي ،

موضوع مداخلتنا هاته التي سنعرج فيها عن مختلف الأنشطة الاقتصادية التي شهدتها مدينة البليدة ابان الفترة العثمانية من زراعة و صناعة و تجارة و مواصلات ، كل ذلك اهلها لتكون مركز استقطاب لىبنى الناس مساكنهم ودورهم الجميلة ، التي تمتاز بشكلها الأندلسي الأنيق ، وأنشئوا حولها بساتين ومزارع يانعة الثمار، زاهية الأزهار والنوار، واتخذها الأندلسيون لأنفسهم دارا وملادا ، وجعلوها مركزا لصناعاتهم البديعة ، كالتطريز على الجلد، وأجروا حولها المياه بصفة فنية ، فكانت مدينة جامعة لأنواع الفواكه والرياحين الشذية ، والجو العبق الأريج ، ممتازة بتدفق مياهها العذبة الباردة ، وطيب هوائها النقي، حتى أصبحت واحدة من أجمل وأمتع مدن الإيالة الجزائرية في العهد العثماني.

الحياة الاقتصادية لمدينة البليدة ابان الفترة العثمانية :

إن وصف اقتصاد البليدة في العهد العثماني مطابق كثيرا لما ورد في التوضيح التالي عن مدن ما قبل الاحتلال: " كانت تتركز على نشاطات صناعية، تجارية، حرفية، عسكرية، إدارية، وفلاحية، وكانت تستمد ازدهارها من موقعها، ومن الوصاية، والحماية المفروضة عليها، فوق جزء من عالم الريف، وكذا من علاقاتها بالمقاطعات الأخرى، كانت هذه المدن مقامة عموما على أرض تدعمها الظروف الطبيعية، وخاصة الري"⁽¹⁾.

وقد تعددت وتنوعت النشاطات الاقتصادية في مدينة البليدة، من فلاحية، إلى صناعة، إلى تجارة، والأمر الذي أدى إلى هذا التنوع والتعدد، هو بلا شك طبيعة موقع المدينة، عند الطرف الجنوبي لسهل متيجة الخصيب، إضافة إلى كونها تشكل حلقة وصل بين عالمين هما عالم الريف، وعالم المدينة، وبين إقليم دار السلطان وبابليك التيطري. على أن

¹ Secrétariat social d'Alger: **Information rapide, monde rural et monde urbain**, Alger, S.N.E.D, 1969, n°4, p33.

أهم نشاط اقتصادي تميزت به البلدة خلال هذا العهد يتمثل في النشاط الفلاحي، باعتبار أن أراضي البلدة تعتبر جزء من سهل متبجة، لذلك اعتنى الحكام والسكان على السواء بالزراعة عناية كبيرة. وقد انعكس الرخاء الاقتصادي الذي عاشته المدينة، على الناحية العمرانية بها، حيث اتسعت رقعتها الجغرافية في ظرف وجيز، وتنوعت بناياتها، حيث أنشئت بها أهم المراكز والمؤسسات العمرانية، حتى غدت مركز جذب لطوائف متنوعة من السكان.

1- الفلاحة بالبلدة وفحوصها:

تشكل فحوص البلدة على المخطط الإداري، إقليم الجهة العلوية لوطن بني خليل، المعروفة تحت إسم الحمادة ومن الناحية الاقتصادية والاجتماعية كان مواليا لمدينة البلدة، التي كان غناها ناتجا عن خصب، وإنتاج بساتين الفحوص⁽¹⁾، حيث كانت تمثل ظهيرا جغرافيا واقتصاديا لمدينة البلدة.

تقع فحوص البلدة على سفوح الأطلس حول وادي سيدي الكبير على ارتفاع 230 متر فوق سطح البحر⁽²⁾. وقد كانت هذه الفحوص مشكلة من حقول خضار (بحاير)، وبساتين فواكه (جنات)، ومجموعة ضياع أو أراضي زراعية (أحواش)، وكذا بعض المنازل (أو الديار).

وعلى الرغم من أن السلطات المحلية لم تكن تعتني عناية كبرى بالشؤون الزراعية، فإن المنتجات كانت تزيد عن حاجات السكان،

¹ NACEREDDINE (Saidouni): L'ALGEROIS RURAL ALA FIN DE L'EPOQUE OTTOMANE (1791-1830), DAR AL-GHARB AL-ISLAMI, BEYROOTH, 2001, p75.

² NACEREDDINE (Saidouni): op.Cit, p25.

بالإضافة إلى أنها كانت تحظى بشهرة عالمية⁽¹⁾. فقد كانت البلدية ومنطقتها تتميز طيلة العهد العثماني بإنتاجها الوفير، وبجنتها الفيحاء⁽²⁾، وهذا منذ أن اقتطع خير الدين أرضها، لجماعة من الأندلسيين، تحت رعاية الشيخ سيدي أحمد الكبير، الذي استقر بجوار وادي الرمان، حيث اعتنى بالزراعة، وغرس البساتين، وسقى الأرض، وأجرى المياه في القنوات⁽³⁾، حتى أصبحت بساتين وحقول البلدية، تنتج جميع أنواع الفواكه، وجميع أنواع الخضار التي تستهلك في مدينة الجزائر⁽⁴⁾.

وأمكنة فحوص البلدية محددة في وثائق المحكمة الشرعية بعدة أوصاف: أوطان- موطن- تراب-إمارة-محل-غرس. ويمكن تحديدها كما يلي:
أغار أوملال- بير الحبس- بلاد الشبلالي- البلدية الجديدة- شعبة بني مفتاح- شعبة السمار- التراب الأحمر- العناب الأحمر- الأوش- النجار- السعيدية معيشة- خزرونة - معدن الياجور-مجاغة- مطمر في إمرة- مراد - وادي أفور- أولاد عمور- أولاد سلطان- سيدي أمحمد الغريب- سيدي يعقوب- تبارديت- تالة إيفري- تارنورت- طريق الخروب- طريق الرمان-

¹ خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 58.

² سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 140.

³ عبد القادر نور الدين ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الاداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 266.

⁴ de paradis ventur ، Alger AU XIIIe siècle, Revue africaine, N° 39, Année 1895, p 276.

تفاحة- تيميزار أو تامازار- تراب معصومة- ترارس أو توارس- تازمورت أو تازموت⁽¹⁾.

ولقد كانت هذه الفحوص خصبة، ومزروعة بطريقة جيدة، حيث توجد حقول مزروعة، ومحاطة بأشجار الزيتون البري، وأشجار التين.⁽²⁾ إذ اشتهرت فحوص البليدة بزراعة الأشجار المثمرة كالتين، والزيتون، والبرتقال، والعنب، والخوخ، والكرز(حب الملوك)، والمشمش، والتوت، واللارنج، والليمون، وغيرها، وخاصة أشجار البرتقال التي كانت بسايتها تمتد لمسافة تقدر بأكثر من 400 هكتار⁽³⁾، حيث أحاط البليديون المدينة بحزام من البساتين وأشجار البرتقال⁽⁴⁾.

وكان الاعتناء بزراعة الأشجار المثمرة واضحا، حيث كانت بساتين البرتقال محمية بأسوار ترابية، فكان مردود الشجرة الواحدة ما بين 500 و1500 برتقالة. وقد يصل إلى 3000 برتقالة⁽⁵⁾. وقد لاحظ رودونوت أن الأشجار المثمرة في كثير من البساتين تثمر مرتين، وأحيانا ثلاث مرات في

¹ NACEREDDINE Saidouni ، op. Cit, p75

la colonisation de la Mitidja paris ، jules ² FRANC
champion 1928, p 58.

³ A .PRENANT, V .Lacoste, A. nouschi ; **L'Algérie, passé et présent**, EdSociales, paris, 1960, p 202. -

⁴ CHAULET (CLAUDINE **la Mitidja autogérée**
Madrid 1971, p 20. ،Altamira – rotopress

⁵ NACEREDDINE(SAIDOUNI:op.cit, p205.

السنة، ويعود ذلك إلى خصب التربة، وعناية المالكين⁽¹⁾. وقد تم جلب البرتقال إلى البليدة من إسبانيا من طرف المهاجرين الأندلسيين، الذين كانوا يسمونها "تشينا"، ربما لأن أصلها من الصين⁽²⁾. كما تمتاز منطقة الفحوص بإنتاج الخضار، التي حسن الأندلسيون أنواعها، وطوروا زراعتها⁽³⁾ بمختلف أنواعها، كالطماطم، والخيار، والبصل، والبطاطس، والفلفل، والباذنجان الذي استمد تسميته من مقاطعة أندلسية هي باتنجال (BITANJEL)، والزعفران، والسبانخ، والقرنوب، والكراث، والجلبان، والملفوف، والكرنب، والقرمز (KERMES)، الذي كان يستخدم في صباغة المنسوجات بالبليدة⁽⁴⁾. كما نجد بمنطقة الفحوص زراعة الحبوب، والكتان⁽⁵⁾، خاصة في الأراضي الجافة، والبعيدة عن

¹ سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص 114.

² MONLAU jean ، les états barbaresques, que-sais-je?
N° 109, paris, P-U-F, sans année, p10.

³ ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث...، ص 140.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان"
أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، السنة 1992-1993، ص 109.

⁵ FRANC jules ، la colonisation de la Mitidja paris
champion 1928, p58.

المستنقعات، ونقصد بذلك السفوح الأولى (الشمالية) من جبال بني صالح⁽¹⁾.

يضاف إلى الفلاحة، قطع من الماعز أو الأغنام، مع بقرة أو بقرتين، خاصة في الأحواش، فالثروة الحيوانية كانت متوفرة، ولكنها كانت تواجه بعض المشاكل⁽²⁾، كما أننا لا نستطيع حصرها لأن السلطات في ذلك الوقت، لم تكن تهتم بالإحصاءات، إلا أنه بإمكاننا أن نأخذ صورة عنها من كلام حمدان بن عثمان خوجة السابق، أو من كتاب صالح العنري (سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة) بقوله: «البقرة الغاية في ذلك الزمان تباع بأربعة ريالات وخمسة. والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان، والكيلو منه بتونسية، أعني صوريين، وقدحة الزبدة التي تزن زوج كيلو أو أزيد بربع الريال، والرطل من التمر بريالين ونصف»⁽³⁾. ويبدو أن ضالة الفارق بين الأسعار، دليل على أن عدد رؤوس الأغنام والأبقار كان كبيرا، حيث كانت تشكل المصدر الرئيسي لرأس مال الأهالي⁽⁴⁾، خاصة في السفوح الجبلية للبلدية.

¹ Colonel trumelet ، **Blida, recites selon la légende, la tradition et l'histoire**, A-JORDAN, Alger, 1887, T I, p 82.

² أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال -، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص 152.

³ صالح العنري ، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة (مجاجات قسنطينة)، تحقيق وتقديم: رايح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 34.

⁴ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 153.

ومما ساعد على انتشار تربية المواشي وحرفة الرعي، كون السهول المحيطة بمدينة البليدة ملائمة للرعي، باعتبار أن مراعي المستنقعات من أهم المراعي، لأن أديمها الرطب تغطيه الأعشاب طوال السنة، على عكس المراعي الجافة، التي لا تتوفر بها الأعشاب سوى في فصل الشتاء فقط، ثم يجف الكلأ في فصل الصيف⁽¹⁾. وعلى العموم فإن تربية المواشي في فحوص البليدة، كانت تهدف إلى تغطية الاستهلاك الذاتي للبايليك، من اللحوم، والحليب، والزبدة⁽²⁾.

إن كثافة الغطاء النباتي، وجودة الإنتاج الزراعي، والإحساس بالجمال الطبيعي جعل الرحالة والمؤرخين يطلقون صفة (المدينة-الواحة)⁽³⁾،

والجزيرة الخضراء التي تنبعث من بحر متيجة، التي تشبه الصحراء⁽⁴⁾، على منطقة البليدة كما أن الكولونيل سالدان السويسري يقر

¹ مجلة مرآة متيجة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، العدد الثاني، ص 4.

² NACEREDDINE Saidouni ، op.cit, p 201.

³ Joëlle Deluz urbanisation en Algérie_ Blida, processus et formes, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988, p 29.

⁴ فون مالستان هابنريش ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، الجزء الثاني، ص 134.

بأنه "لم يرفي سائر أنحاء أوروبا ما يشابه ناحية البليدة التي زارها"⁽¹⁾. ونظرا لخصوبة وجمال منطقة البليدة خصت بهذه الأبيات الشعرية الجميلة:

بدت بساتين البليدة كالواحة تنبعث من الصحراء المقفرة
 بدت ترتاح بين أحضان الحقائق الخضر والأحواض المزهرة
 وتسيل فوق ضفة النهر وقد جعلتها براعم بساتينها
 وقباها البيض الملتمة كأشعة القمر مدينة خرافية⁽²⁾.

أما بخصوص تقنيات وأساليب العمل الزراعي، فرغم إدخال الأندلسيين زراعات جديدة، وتطويرهم وسائل الري، وإنشاءهم الحنايا والسواقي، في الفترة الأولى للعهد العثماني، إلا أن الفلاحة لم تتطور منذ أوساط القرن السابع عشر⁽³⁾، وهذا راجع إلى الأساليب العتيقة المتبعة، والآلات البدائية المستعملة في خدمة الأرض⁽⁴⁾. فسواء تعلق الأمر بشبه الرحل أو الغراسين، فإنهم يستعملون كلهم أداة حرث وحيدة، وهي المحراث الخشبي الذي وصفه القس بوارى (Poiret) في سنة 1785 ميلادي على أنه: "مجرد سكة مربوطة بقطعة خشبية طويلة، مكوعة في الوسط

HISTOIRE D'UN PARJURE, ¹ HABART MICHEL

1960, p 69., PARIS, LES EDITIONS DE MINUIT

² مالتسان فون هاينريش ، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 134، ص 135.

³ ناصر الدين سعيدوني ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، العدد الرابع (العهد العثماني)، ص 57.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص 33.

ويوجد في طرفها المقرن⁽¹⁾. ويضاف إلى المحراث الخشي استعمال المنجل البسيط الذي يتلف السنابل أكثر مما يحصدها، والالتجاء إلى رماد الأعشاب المحروقة، وفضلات الحيوانات لإخصاب التربة، وعند عدم توفر هذه الأسمدة، يلتجئ الفلاح إلى ترك الأرض بورا لمدة سنة أو أكثر، لتستعيد خصوبتها. على أن هذا الأمر لم يحل دون إتباع طرق ملائمة، والالتجاء إلى وسائل تتماشى وظروف الفلاحة، وطبيعة البيئة، مثل توزيع المزروعات حسب نوعية التربة، وطبيعة المناخ، وكذا التجاء الفلاح إلى المحافظة على إنتاجه من الحبوب في مطامير وجرار كبيرة، واستعماله الحيوانات في الدرس، واستخدامه الرياح في تصفية الحبوب، والانتفاع بالتين في الطهي والعلف⁽²⁾.

كما أنه وفي فحص البليدة، تمكن الأندلسيون من تحويل مياه وادي الرمان، الذي أصبح يعرف بوادي سيدي أحمد الكبير الأندلسي، الذي ينبع من منحدرات جبل الشريعة، إلى قناة رئيسية طولها 1500 متر، ذات منسوب مائي مرتفع يصل إلى 20000 لتر يوميا⁽³⁾، حيث بدؤوا بإعادة توجيه الوادي إلى الغرب، حيث كان يصب في الجهة الشمالية، قاسما حائط المدينة إلى اثنين، ونفس الأعمال قام بها الأندلسيون من الجهة الشرقية، وذلك باستغلال مياه وادي بني عزة⁽⁴⁾، ولم يكتفوا

¹ فلنزي لوسات، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1770 - 1830)، نقله إلى

العربية لادي الساحلي، سواس للنشر، تونس، 1994، ص 56.

² ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 57، ص 58.

³ ناصر الدين سعيدوني، الأندلسيون (المورسكيون)، ...، ص 110.

⁴ Deluz joelle، **urbanisation en Algérie_ Blida**,

processus et formes, office des publications

universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT

MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988, p 29.

بذلك، فقد حاولوا استغلال المياه المنحدرة من جبل الشريعة، عبر أودية الخميس، وجبور، وبني شبلة، والمبدوع، وتامرة، وبني مفتاح⁽¹⁾. ومما ساعد على وجود تقنية السقي بالسواقي درجة ميل أرضية مدينة البليدة، التي تقدر بـ 3% في الاتجاه جنوب/شمال⁽²⁾. وقد وجه جزء من هذه المياه لري البساتين، أما الجزء الرئيسي فقد احتفظ به لاستغلاله في الصناعات، وتوجيهه لسد حاجات مدينة البليدة من المياه⁽³⁾.

على أن الأمور تغيرت جذريا بعد حملة الغزو الفرنسية على الجزائر، فالاختلاف بين متيجة في زمن الأتراك ومتيجة في زمن الاحتلال الفرنسي كان بالدرجة الأولى من ناحية الزراعة، فالأول يمثل بصورة أقل أو أكثر نوعية المظهر الرعوي الزراعي، مع تواجد العديد من الدارات الصغيرة (VILLAS) البيضاء، المقامة وسط أجنة، تثمر المحاصيل للتبادل والاكتفاء الذاتي، وقطعان الدجاج والأغنام، والكثير من الرحوات لطحين الحبوب، الموجهة للمدن الجزائرية. أما خلال الفترة الأخيرة، فإن تلك الضيعات الصغيرة، قد حلت محلها الملكيات الواسعة جدا، وكل منها تتحكم فيها بيت إقطاع، سقفاها من القرميد الأحمر، وقد خصصت لإنتاج الحمضيات، وعنب الخمر⁽⁴⁾.

2- الصناعة بالبليدة وفحوصها:

شهدت مدينة البليدة وفحصها نشاطا صناعيا وحرفيا متنوعا، إذ كانت تعج بالصناع والحرفيين الذين كانوا يزاولون مختلف الحرف والصناعات، في ورشاتهم، ومشاعلهم، حيث تجمعت كل صناعة أو حرفة

¹ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 110.

² Joëlle (DELUEZ) : op. Cit, p 29.

³ ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 110.

⁴ وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 115.

في مكان مخصص، بحيث عرف كل زقاق، أو ساحة، أو حومة بالصناعات الموجودة به⁽¹⁾.

وقد تركزت محلات الحرفيين في الشارع الممتد من باب الجزائر، حتى باب القبور، الذي ضم محلات النجارين، والطرازين، والخزافين، والدباغين، والسراجين... الخ⁽²⁾. وقد كان الإنتاج موجه لتغطية الاستهلاك المحلي، وإرضاء متطلبات أسواق المدينة والأرياف من المصنوعات اليدوية⁽³⁾.

ومن أهم الصناعات والحرف التي انتشرت في مدينة البليدة، والمناطق المحيطة بها:

أ- الصناعات الغذائية: وتوزع على أفراد الخبز (الكوشات)، ومطاحن الدقيق (الرحى)، حيث أقيمت بفحوص البليدة سبعة مطاحن مائية لطحن الحبوب⁽⁴⁾، قادرة على طحن ما لا يقل عن ألف كيس من الدقيق يوميا⁽⁵⁾، خاصة تلك المطاحن المائية الموجودة على ساقية وادي سيدي أحمد الكبير⁽⁶⁾. ولم يكن الأهالي يسيطرون على مخازن الحبوب العامة، ولا على طواحين المياه في ضواحي المدينة، ولكن الذي كان يتولى ذلك هم العثمانيون⁽⁷⁾. كما امتازت البليدة بصناعة تجفيف الفواكه،

¹ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون)...، ص 110.

² .946op.Cit, T II, p883, p ، Colonel trumelet

³ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص 34.

op.cit, p 224. ، ⁴ NACEREDDINE Saidouni

⁵ Louis Piesse ، **itinéraire de l'Algérie**, hachette, paris, 1885, PP 83 ,84

⁶ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون)...، ص 113.

⁷ أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص 152.

وتحضير المربي، وتقطير ماء الورد الذي اختصت به العائلات العريقة من الأندلسيين والبلدية⁽¹⁾.

كما وصف لنا سيمون بفايفر، طريقة تقليدية لتهيئة الزبدة في الفحوص والأرياف، بقوله: "فهم يخيطنون جلد الماعز، ولا يتركون منه إلا فتحة في العنق، ويعلقونه من الأرجل الأربعة، بواسطة الحبال في عارضة، أو في فرع شجرة، ويصبون الحليب في الجلد، ويشدون الفتحة، ثم يقف اثنان، كل واحد منهما في جانب، ويتراميان بجلد الماعز، وعن هذه الحركة تنشأ الزبدة"⁽²⁾.

ب- الصناعات التحويلية: وتتعلق بتحضير مواد البناء، كصناعة الجبس، والقرميد، والأحجار التي تستخدم في البناء. وقد كانت هذه المواد تعالج في أفران محلية في منطقة جبال بني صالح بالبلدية⁽³⁾.
ويلتحق بهذا النوع من الصناعة، صناعة الخزف والأدوات الفخارية، حيث عرف صناعيو البليدة بصناعة نوع جيد من الخزف المزجج بالطلاء، في شكل بلاطات صغيرة مربعة، مكسوة بالطلاء، والمعروفة بالزليج⁽⁴⁾، الذي يستعمل عادة في تغطية المنازل، وكساء الجدران، وتزيين العيون العامة، ومداخل البنايات. أما الأدوات الفخارية، والأواني الخزفية التي تستخدم في عدة منافع، كأواني الأكل والشرب والطهي، والجرار لتخزين الزبدة والزيت، فكانت تصنع من طرف

¹ ناصر الدين سعيدوني ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص 68 .

² سيمون بفايفر ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ ، ص 161.

³ NACEREDDINE Saidouni ، op.Cit, p220.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون)...، ص 112.

النساء، بأدوات يدوية تقنية بسيطة، ومهارة مكتسبة بفعل العمل المتكرر. وتتم العملية بشكل أساسي في فصل الربيع، لأن التجفيف فيه أسرع من فصل الشتاء، وأقل سرعة في فصل الصيف، وكانت توضع على هذه الأواني رسومات، وألوان مختلفة⁽¹⁾. كما أن حرفة صناعة السلال كانت منتشرة بين سكان المدينة، وسكان السهل، وسكان الجبل، وكانت المواد الأولية لهذا المنتج هي الحلفاء، وسعف النخيل. أما المصنوعات فهي الحصير، والقبعات، والقفف المسماة الشواري، والسلال، والصحون، والأقداح⁽²⁾، فالحصائر كانت تفرش في المساجد والبيوت، والمقاهي والأسواق.

ج- صناعة ومعالجة الخشب والنجارة : ومما ساعد على وجودها غنى، منطقة البليدة بالأشجار، خاصة في المناطق الجبلية، حيث تتواجد غابات كثيفة من الأشجار، كما في جبال الشريعة، وجبال بني صالح، حيث اختص سكان السفح الجنوبي لجبال بني صالح، في حرفة التحطيب، وجمع الفحم⁽³⁾، فقد كانوا ينزلون إلى المدينة كل صباح، يدفعون أمامهم قطيعا من الحمير، محملة بالحطب والفحم

op.Cit, p220 ، ¹ NACEREDDINE Saidouni

² I .bid p 220.

op.Cit, T II, p243, p 289 ، ³ Colonel trumelet

الخشبي⁽¹⁾. وقد كانت الأخشاب تستغل إما في البناء، وإما في صناعة الأثاث المزخرف بأشكال بارزة⁽²⁾.

د- صناعة النسيج: تطورت على أيدي الأندلسيين، الذين توارثوا الأساليب الفنية لصنع الزرابي، والأقمشة، والشواشي، والمخمل (القטיפه)⁽³⁾. وكانت هذه الصناعة تعتمد على المواد الأولية المتوفرة، من صوف وكتان وقطن، وتتم بواسطة أجهزة تقليدية بسيطة، أهمها المنسج التقليدي، حيث كانت الصوف المحضرة في البلدة، تستعمل في صناعة القبعات والشاشيات في مدينة الجزائر⁽⁴⁾.

ومن منتجات هذه الصناعة، الأقمشة القطنية والحريية، من ذلك قماش المناديل⁽⁵⁾، أو صناعة نسيج المناشف، التي تباع في مدينة الجزائر⁽⁶⁾، وصناعة الوشاح (الخمار)⁽⁷⁾.

¹ محمد صالح بكوش، ترجمة وثيقة لأوجين فرومونتان والتعليق عليها، محاضرة أقيمت في الملتقى الثالث "متيجة عبر العصور"، من 26 إلى 31 ماي 2003 بقاعة محمد التوري بالبلدية، ص 03.

op.Cit. p 221 ، ² NACEREDDINE Saidouni

³ ناصر الدين سعيدوني، الجانب الاقتصادي والاجتماعي، ص 68

op.Cit.p277. ، ⁴ Venture de paradis

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 91.

⁶ حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، المصدر السابق، ص 69.

⁷ Venture(de paradis op.Cit, p277.

كما كان أفراد القبائل المحيطة بالبليدة (مثل بني صالح)، مشهورون بصناعة البرانس والأغطية ذات النوعية⁽¹⁾، حيث كانت نساء بني صالح محترفات وخبيرات، فيما يخص حياكة و نسيج الصوف، فعلمهن المتقن لم يكن يتطلب الكثير من المواد الخام لحياكة البرانس، والقندورة، والخمارات⁽²⁾.

هذا وترتبط صناعة النسيج بمهنة الصباغة، حيث اشتهرت بها البليدة خاصة لتوفر نبات القرمز بجهاتها، ولوجود عيون غزيرة، ومجاري مائية دائمة بها⁽³⁾، حيث مكنت مياه واد سيدي الكبير، من بناء العديد من الأحواض المخصصة لغسل الصوف و دباغتها⁽⁴⁾. وبفضل نشاط صناعاتها، وتوفرها على أحواض الصباغة، استطاعت البليدة أن تحتكر هذا النشاط الصناعي، بعد أن اضمحلت دلس وتناقص سكانها⁽⁵⁾.

ن- صناعة الجلد: طورها الأندلسيون فأصبحت أكثر اتقاناً ودقة مما كانت عليه، وقد ساعد على ذلك وجود أحواض خارج البليدة، تعالج فيها الجلود، قبل توجيهها إلى مشاغل الاسكافيين⁽⁶⁾. ومن أهم منتجاته

¹ NASEREDDINE Saidouni op.Cit, p222.

² Colonel (trumelet):op.Cit, T II, p267.

³ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون) ...، ص111.

⁴ Colonel (trumelet):op.Cit, T II, p748.

⁵ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص 111.

⁶ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق، ص 112.

الصناعة: السروج، والأحذية، حيث كان سكان البلدة الأبرع في هذا الميدان⁽¹⁾.

ي-صناعة التطريز: كالتطريز على الجلد⁽²⁾، من أدوات كالأحزمة، والسروج، والمحافظ الصغيرة (الدزدان)، والمحافظ الكبيرة (الجبيرة)، والتطريز على القماش، وكانت تتم باستعمال خيوط الذهب والفضة⁽³⁾. إضافة إلى هذا تميزت البلدة بصناعة الشبيكة، التي توارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهن، سواء من حيث الآلات المستعملة في نسجها، أو الطريقة والطرز المتبعة في تشكيلها⁽⁴⁾.

إضافة إلى هذه الصناعات، شهدت البلدة ومنطقتها صناعات أخرى لا تقل أهمية، كصناعة الأسلحة وتحضير البارود، والتي وجدت إقبالا من طرف سكان متيجة والأطلس البليدي⁽⁵⁾. وصناعة المجوهرات والحلي، التي اقتص بها أفراد المجموعة اليهودية، وبعض حضر المدينة من الأندلسيين والكراغلة⁽⁶⁾، وكذا صناعة الصابون، والمستحضرات

¹ NACEREDDINE (Saidouni): op.Cit, p222.

² أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص199.

³ ناصر الدين سعيدوني ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص 70.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث...، ص141.

⁵ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون)، ص112.

⁶ ناصر الدين سعيدوني ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص70.

العطرية، لتوفر المواد الخام، كالورود، وزهور اللارنج⁽¹⁾. وقد برز نشاط الجالية الأندلسية بالبليدة في بعض الصنائع والحرف، التي كانت تمارسها بمهارة وإتقان، فمن حرفييها نذكر: علي بن عمر الأندلسي الذي كان مشتهرا بصناعة الصابون، والخياط يحيى، إضافة إلى أصحاب البطان المختصين في صناعة الشاشية، ونذكر منهم: "الحاج علي بن محمد الفهري الأندلسي"⁽²⁾. كما انتقلت الكثير من الصنائع والحرف من الأندلسيين إلى سكان المنطقة، مما أكسبهم حرفا، وفرت لهم عملا ومهنا مستقرة⁽³⁾.

3- التجارة وطرق المواصلات بمدينة البليدة:

يتوزع النشاط التجاري في الجزائر في العهد العثماني على المدن الكبيرة، والأسواق الأسبوعية والموسمية⁽⁴⁾، وفي الحوانيت (الدكاكين)، والمعارض السنوية⁽⁵⁾. فالأسواق تشتمل على حاجات الناس، فمنها الضروري، وهي الأقوات من الحنطة والشعير، وما في معناهما، كالباقلا، والحمص، والجلبانة، وسائر حبوب الأقوات

¹ ناصر الدين سعيدوني ، الأندلسيون (المورسكيون) ...، ص 112.

² رابح كنتور، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بالبليدة في أواخر العهد العثماني، محاضرة ألقى خلال الملتقى الثاني "متيجة عبر العصور" من 04 إلى 09 ماي 2002، بقاعة محمد التوري بالبليدة، ص 06.

³ نفسه، ص 06.

⁴ ناصر الدين سعيدوني ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي ...، ص 71 .

⁵ محمد العربي الزيري ، المرجع السابق، ص 64.

ومصلحاتها كالبصل، والثوم، وأشباههما، ومنها الحاجي والكمالي مثل الأذم، والفواكه، والملابس، والماعون، والمراكب، وسائر المصانع والمباني⁽¹⁾. فالأسواق تعد حاجة اقتصادية، وعادة لا بد منها لاستقبال أونشر آراء جديدة، وذلك لأنها كانت تعد مراكز اجتماعات، ونقاط لقاءات عمومية⁽²⁾، حيث أن البايليك يستغل فرصة انعقادها لإعلام المواطنين عن بعض القضايا، بقراءة الظهير، أو المنشور العام الذي يحتوي على معلومات ومضامين مختلفة، قد تكون سياسية (كخبر تنصيب موظفين جدد)، أو اقتصادية (كتغطية أودفع الضرائب)، أو اجتماعية، مثل نبأ انتشار وباء وكيفية الاحتراز منه⁽³⁾. كما أنها تلعب دورا ثقافيا هاما، إذ يقصدها المداحون من مختلف أنحاء البلاد، يقصون على الجماهير أنواعا من القصص الدينية والتجارية⁽⁴⁾. كما تشكل أسواق المدن والأسواق الريفية الكثيرة، الإطار الذي تلتقي فيه المنتجات الريفية والحرفية⁽⁵⁾. تفتح الأسواق الأسبوعية في الفترة الصباحية (يوم في الأسبوع فقط)، في الهواء الطلق، بالقرب من ساقية، أو فوارة، أو بئر، وفي منطقة حيادية تقع بين مجموعة من القبائل. وكان القائد بمساعدة الشيوخ يقوم بمراقبة التبادلات الاقتصادية بين القبائل، ومراقبة الأسواق والصفقات

¹ عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968، المجلد الأول، ص 646.

² NACEREDDINE (Saidouni): op.Cit, p227.

³ Benachenhou(a): **L'ETAT ALGERIEN EN 1830**, SANS ANNEE, p16., ALGER, E.P.A.

⁴ محمد العربي الزيري ، المرجع السابق، ص 64.

⁵ NACEREDDINE Saidouni ، op.Cit, p227.

التي تجري على مستوى مقاطعته، كما يضمن أيضا حراسة هذه الأسواق، على حسب الأيام أين ستقام⁽¹⁾.

أما التجار الذين يقومون بها في المدن، فإنهم ينظمون ضمن هيئات، يشرف على كل واحدة أمين، يجمع الرسوم المفروضة على كل واحد، ويسلمها للمصالح الإدارية⁽²⁾. فالعادة المتبعة منذ القديم هي أن الجزائري أو اليهودي، يكتري في السوق محلا، أو عدة محلات، وبمجرد حصوله على رخصة لذلك يعرض في بابها بضاعته⁽³⁾. فعند باب الجزائر في البلدة، توجد محلات، ودكاكين تجارية لبني ميزاب، خاصة بالملابس الجاهزة، أما بني عبد الله المسمى بني اليهود، فإننا نجد محلات خاصة بالخضارين، ومقابل المقهى الموجود بنفس الحي، توجد محلات خاصة بالجزائرين، وسوق التشينة أو البرتقال⁽⁴⁾. أما في الأسواق والمعارض فإن التاجر يدفع الرسوم قبل الدخول إليها⁽⁵⁾.

فالموقع المعتاد للسوق الريفي، أنه ينصب بطريقة متناثرة هنا وهناك، وفي وسطه توجد مجموعة من الخيام التي تباع بداخلها القهوة والشاي (تعتبر كمقهى)، كما توجد بداخل هذه الخيام أيضا حصائر أو جلود تفرش على الأرض، وتوضع أو تعرض عليها سلع غذائية للبيع، والمواد المباعة تتمثل في الحيوانات بمختلف أنواعها، والحبوب، والخضر، والفواكه، والطيور، والخبز، والحلوى، والملح، والصابون، والتبغ، والقهوة،

¹ (benachenhou): op.Cit, p21.

² محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 64، ص 65.

³ دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1850)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 110.

⁴ Colonel (trumelet):op.Cit, Tome II ,p883, p946

⁵ محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 65.

والسكر، والتوابل، والخردوات، والنسيج، والقماش، ومنتجات حرفية، وغيرها⁽¹⁾.

وتعد البليدة ذات أهمية كبرى للسكان المحيطين بها، فمنها يشترون سلعهم، ويصلحون سلاحهم، ويصفحون أحصنتهم، ويلتقون لمناقشة عدة قضايا⁽²⁾، حيث كان يتواجد بها ثلاثة أسواق، منها سوقين داخليين، الأول كان مخصصا للحبوب، ويسمى "سوق جنة الزرع"، والثاني مخصص للمواد والسلع الغذائية، وكان يعرف باسم "سوق الجمعة"، وكان يعقد عند الباب الشمالي المؤدي إلى مدينة الجزائر، أما السوق الثالث فهو خارجي، حيث يعقد خارج أسوار المدينة، عند سفح الجبل، وكان يعرف باسم "سوق الخميس"⁽³⁾، حيث يعقد كل يوم خميس سوق عام، وفيه كل المناطق المجاورة تجلب الدجاج، والبيض والبقر، والثمار الجافة، والشعير، والقمح، والبقول⁽⁴⁾، كما يتردد عليه رجال القبائل الجبلية لبيع منتجاتهم، وشراء حاجياتهم من أقمشة وأدوات مصنوعة⁽⁵⁾.

¹ NACEREDDINE (Saidouni): op.Cit, p227.

² A (Cour): **Deux Documents sur les relations du Gouvernement d'Alger avec les indigènes de Blida EN Janvier 1836**, in R. A, T 51, Année 1907, ALGER, p111, p115.

³ Colonel (trumlet): op.Cit, T II, p782, p800.

⁴ Venture (de paradis) : op.Cit, p276.

⁵ Colonel (Trumlet) : op.Cit, T II, p782, p800.

كما أنه وبفضل استغلال جيد لمنطقة زراعية غنية، وطريقة غرس رائعة لأشجار البرتقال، أصبحت البلدة خلال وقت قصير، مستودع تجارة للتيطري وللجنوب، مع عاصمة الدولة والمدن الساحلية لمقاطعة دار السلطان⁽¹⁾، فالإنتاج الرئيسي والهام لبساتين وحقول المدينة، أعطى لها مكانة مرموقة على مستوى مقاطعة الجزائر العاصمة أيضا⁽²⁾.

كما كان في كل قيادة أو وطن، يوم من الأسبوع يعقد فيه سوق عام⁽³⁾. ففي وطن - بني خليل- الذي تقع في إطاره أراضي مدينة البلدة، نجد السوق الشهير "سوق الاثنين"، الذي يعرف لدى أناس المنطقة باسم "سوق بوفاريك"، والذي كان يعقد بين حقول الحبوب، على بُعد 400 متر شمال قبة سيدي عبد القادر، بالقرب من ساقية تستعمل لتشريب الحيوانات⁽⁴⁾. كما أن هناك سوق قبلي أو عشائري، يدعى "سوق بني صالح"، ويوجد بمرجة "بوقادون"⁽⁵⁾.

وقد كانت المقايضة أفضل طريقة يستعملها السكان في هذه التجارة، لأن النقود الذهبية لم تكن منتشرة بكثرة، ولأن المستهلك يريد الحصول على ما يحتاج مباشرة، دون المرور بعملية التحويل المعقدة، التي لا توفر الضمانات الكافية للأطراف المتبادلة⁽⁶⁾، فالنقود المعدنية

¹ I bid p783.

² Joëlle (deluz):op.Cit, p29.

³ Venture (de paradis) : op.Cit, p276, p 277.

⁴ NACEREDDINE (Saidouni): op.Cit, p229.

⁵ I .bid, p 220.

⁶ محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 65.

المستعملة واجهت ظروفًا صعبة، تمثلت في صعوبة تحديد قيمتها تحديدًا دقيقًا وثابتًا، وذلك نتيجة لانعدام استقرار الأوضاع الاقتصادية بالبلاد، واضطراب الأحوال السياسية، خاصة منذ مطلع القرن التاسع عشر، إثر الضعف والانهيار الذي أصاب العثمانيين⁽¹⁾.

وعن أسعار المواد يمكن لنا أن نستنتج من مخطوط العنزي - عند تحدّثه عن مجاعة 1808م- أنها كانت رخيصة الثمن، إذ يقول: "...وأما باقي الغلال، من مأكولات، ومشروبات، كلها رخيصة السعر، إلا أن الدراهم قليلة بأيدي الناس في ذلك الزمان جدا، وعزيزة للغاية، فالبقرة الغاية تباع بأربعة ريالات وخمسة، والكبش الغاية يباع بخمسة أثمان، والكيلو منه بتونسية، أعني صورديين، وقدحة الزبدة التي تزن كيلو أو أزيد بربر الريال، ورطل من التمر بريالين ونصف، وقس سائر المأكولات المعدة للاقتيات على ذلك السعر، تجدها كلها في غاية البخس، حتى أن الإنسان الذي لم يدرك ذلك الزمان المتقدم، ولم يشاهد عيانا الأشياء الجارية فيه في سائر المبيعات، من أمور المعاش، والكسوة، والكسب، ونحو ذلك، يتخيل الكذب في رخاء تلك الأسعار"⁽²⁾.

وعلى العموم فقد كانت الأسعار مراقبة، سواء في أسواق المدينة، أو أسواق الريف، فبخصوص هذه الأخيرة، كانت كل قبيلة تعين أمينا لمراقبة الأسعار والمكاييل.

هذا وقد عمل الحكام على تشجيع التبادل التجاري، قصد التحكم في القبائل التي ظلت ممتنعة عن سلطتهم، عندما تضطرها الحاجة إلى

¹ رابح كنتور ، المرجع السابق، ص 06.

² العنزي صالح ، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة أو (مجاعات قسنطينة)، تحقيق وتقدم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ص 34، ص 35.

مبادلة إنتاجها الحيواني والزراعي، بما تحتاجه من سلع وبضائع في الأسواق الخاضعة لسلطة البابليك⁽¹⁾.

وكان لمهارة العنصر الأندلسي، واستعداد الجالية اليهودية لممارسة الأعمال التجارية، دخل كبير في تدعيم النشاط التجاري في المدينة، حيث أن المبادلات التجارية أصبحت من احتكار الأندلسيين، نظرا لاستعدادهم، ومهاراتهم، وتكاتفهم، وامتلاكهم رؤوس الأموال التي نقلوها من مواطنهم الأصلية بالأندلس⁽²⁾. كما أن اليهود تمكنوا من السيطرة على تجارة الجزائر، على المستويين الداخلي والخارجي في أواخر العهد العثماني، نظرا لاستغلالهم الظروف الدولية، ومعرفتهم بالأسواق الأوروبية، وتواطؤ بعض الحكام معهم، فضلا عن إطلاعهم على عادات وتقاليدهم سكان الأرياف والمدن⁽³⁾.

ويرتبط النشاط الاقتصادي بصفة عامة، و النشاط التجاري بصفة خاصة، بالموقع الجغرافي للمدينة، وطرق المواصلات فيها، فالموقع الاستراتيجي الهام للبلدية، تتخلله معابر وممرات طبيعية عبر السهل، أو الجبل، تمكن المسافرين خلالها الوصول إلى مدينة الجزائر والساحل في الشمال، عبر سهل متيجة المنبسط والفسيح، أو إلى مليانة في الغرب، عبر واد جر، أو إلى المدينة جنوبا، عبر مضائق شفة، أو عبر سلسلة جبال الأطلس التلي، كجبال بني صالح، وجبال ملوان. وقد استغلت هذه الممرات منذ القدم للتنقل بين الشرق والغرب، أو بين الشمال والجنوب، فالجيوش الرومانية التي كانت متمركزة في سواحل تيبازا (تيبازة

¹ (Benachenhou): op.Cit, p21.

² ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث...، ص142 .

³ ناصر الدين سعيدوني ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص74.

اليوم)، وقيصرية (شرشال حاليا)، وإكوزيوم (مدينة الجزائر اليوم)، كانت تستخدم منطقة البليدة كممر طبيعي لمراقبة السهول، كما أقامت عدة محطات عسكرية بالمنطقة للمراقبة، خاصة في خزرونة وموازية. كما اتخذتها جيوش الموحدين الآتية من جهة الغرب عن طريق مليانة، ممرا للوصول إلى بجاية، ومنها إلى تونس⁽¹⁾.

أما في العهد العثماني، فقد كان أول ما يهتم به البايات عندما ينصبون، هو العمل على تحقيق أمن الطرقات، حتى يستطيع الضعيف أن يتنقل من مكان إلى آخر، دون أن يحتاج لحماية القوات المسلحة، وكانت كل قبيلة مجبرة على مساندة ذلك الإجراء، لكي يستتب الأمن بينها وبين جاراتها⁽²⁾.

وكانت الطرق في الإيالة الجزائرية تختلف عن مثيلاتها في القارة الأوربية، وهي تنقسم إلى سلطانية، وجهوية⁽³⁾، وكذا إلى طرق محيطة بالمدن والأحواش، والقبائل والأعراش⁽⁴⁾. والطرق السلطانية هي الطرق التجارية الكبرى، وتوجد منها في الجزائر تسع طرق، تربط بكل من تونس، وليبيا، والمغرب، والسودان⁽⁵⁾، ومنها طريق الجنوب، الذي يمتد من المدية إلى الصحراء. وللوصول إلى المدية عاصمة بايليك التيطري، يستعمل البايليك عدة طرق، منها الطريق التي تبدأ من مدينة البليدة، التي تعد

¹ مجلة مرآة متيجة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، العدد الثاني، ص 04.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 161.

³ محمد العربي الزيري، المرجع السابق، ص 67.

⁴ Nacereddine (Saidouni): op.Cit, p232.

⁵ محمد العربي الزيري، نفسه، ص 67.

رابطا بين العاصمة (الجزائر) وبابليك التيطري⁽¹⁾. ويتم المرور في هذا الطريق بـجبال ملوان، وبني ميصرة، وبني بويـعقوب، وباروقيقـة (Baroegeaja)، والعبور للحظات بوادي الآخرة⁽²⁾. أما الطرق الثانية، فتتمثل في الطرق التي تربط العاصمة (مقردار السلطان) بالمـدن المحلية، ومن أهم هذه الطرق "طريق البليدة"، فليست هناك نقطة تربط بمدينة الجزائر عن طريق المواصلات ارتباطا وثيقا مثل البليدة، وليس هناك مكان مجاور يسهل الوصول إليه مثلما يسهل الوصول إلى هذه البلدة، التي تمتاز بقربها المناسب من العاصمة⁽³⁾، فهي تقع على بعد 48 كيلومتر جنوب غرب مدينة الجزائر، و42 كيلومتر شمال المدينة، و70 كيلومترا شرق مليانة⁽⁴⁾. فالبليدة إذن تقع على بعد ست مراحل من مدينة الجزائر، على الطريق الكبير المؤدي نحو مدينة معسكر⁽⁵⁾. وقد كان المسافر يقطع هذه المسافة في عشر ساعات من السير⁽⁶⁾.

¹ Joëlle (Deluz): op.Cit, p27.

² Nacereddine (Saidouni): op.Cit, p235.

³ هانيريش فون مالتسان ، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 131.

⁴ Bernard (Victor): indicateur général de l'Algérie, description géographique, historique et statistique, bastide, Alger, p243.

⁵ Venture (de paradis): op.Cit, p276.

⁶ LOUIS (PIESSE): op.Cit, p65.

ويمر الطريق الواصل بين الجزائر والبليدة، من دالي إبراهيم، مرورا بوادي الكرمة بواسطة جسر، ثم حوش حسن باشا في اتجاه الجنوب وسط المستنقع، وصولا إلى البليدة عن طريق أراضي مغطاة بالأدغال والأشجار، وهذا الطريق رملي⁽¹⁾.

أما سعر النقل الذي كان يحدد حسب المسافة وصعوبة النقل، فالداي "الحاج علي" حدده (بين الجزائر والبليدة)، حسب اقتراحات خوجة الخيل "سيدي حسان خوجة"، في أول محرم 1228هـ/1788 م ب: "03 ريال⁽²⁾".

ومن خلال قراءتنا لقصيدة ابن مسايب (يا الورشان)، التي تصف الرحلة الحجية بين تلمسان ومكة المكرمة، نجد أن مدينة البليدة كانت ممرا هاما، ومحطة رئيسية في طريق الحج التلمساني، حيث أن ابن مسايب ذكر أهم المدن والمحطات التي يمر بها الحاج، مع الإشادة بفضل أولياء وصلحاء تلك المدن والأماكن، والتوسل إليهم لقضاء الحاجات⁽³⁾. ومما جاء في هذه القصيدة بخصوص البليدة :

قم قبل الفجروبكر *** باش تخرج ساع لواجر
شف متيجة واستخير *** البليدة بيت فيها⁽⁴⁾.

¹ Nacereddine (Saidouni): op.Cit, p 235

² Nacereddine (Saidouni): op.Cit, p 240.

³ ناصر الدين سعيدوني ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 407 .

⁴ Mohamed (Ben Messaib): Itinéraire de Tlemcen à la mekk, in R. A, T 44, Année 1900, p275,p282.

أما عن وسائل النقل المستعملة، فالجمال والبغال للسلع، والخيول للأشخاص⁽¹⁾، ففي سهل متيجة قلما نصادف الخيول، أما التي يكسبها السكان يستعملونها فيركوبهم، ويسخرونها لحمل حبوبهم⁽²⁾. وكان ثمن النقل على ظهور الحيوانات باهظا، مما أدى إلى ارتفاع أسعار المنتجات المنقولة⁽³⁾، فالحمير مثلا كانت تستعمل في الأوطان من طرف القبائل، ويمكن للحمار أن يحمل فقط من 70 إلى 80 كيلوغرام، ويتحمل مسافة 15 كيلومتر فقط، بينما البغال الوسيلة الأهم في النقل، فتحمل لمسافات بعيدة تصل إلى 25 كيلومتر، وبسرعة أكبر، وبحمل يتراوح ما بين 100 إلى 150 كيلوغرام، وكان يقطع مسافة 10 كيلومترات في الساعة على الأراضي المنبسطة، و3 كيلومترات في الساعة في الجبال⁽⁴⁾.

تكمن أهمية موقع البليدة في تحكمه في سهل متيجة، وفي مراقبته لوطن بني خليل، وفي اتصاله المباشر بمناطق التيطري جنوبا، وسهل الشلف غربا، عن طريق الأودية الجبلية المتمثلة في مضائق الشفة ووادي جر، فأصبحت مدينة البليدة في العهد العثماني قاعدة عسكرية رئيسية، ومركزا عمرانيا مهما في مقاطعة دار السلطان، رغم قربها واتصالها المباشر بمدينة الجزائر عاصمة البلاد، وبقيت على مكانتها إلى بداية الفترة الاستعمارية⁽⁵⁾.

¹ Nacereddine (Saidouni): op.Cit, p240.

² حمدان بن عثمان خوجة الجزائري، المصدر السابق، ص 67.

³ Nacereddine (Saidouni): op.Cit, p240.

⁴ I .bid, p220.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، مدونة المدن الجزائرية، في طريقه للنشر، الجزء الأول، ص 02.

الخاتمة :

شهدت البلدية بعد تأسيسها نموا سريعا ومتزايدا ، سواءا من حيث التعداد السكاني ، أو الاتساع العمراني، أو النشاط الاقتصادي والثقافي ، فقد كانت البلدية آنذاك -أي إبان العهد العثماني- إحدى أهم مدن الإيالة الجزائرية ، وذلك راجع لحسن موقعها ، واعتدال مناخها ، وغنى وخصوبة أرضها ، وقد شهدت المدينة طيلة العهد العثماني عدة نشاطات اقتصادية ، كان أبرزها النشاط الفلاحي، وهذا راجع إلى موقع المدينة في الجزء الجنوبي لسهل متبجة الخصيب ، وبفضل الاهتمام والرعاية للنشاط الفلاحي أصبحت البلدية (مدينة - واحة) ، حيث تنوعت المحاصيل الزراعية فيها ، كان أشهرها البرتقال ، حيث أحيطت بغابة من أشجار البرتقال ، امتدت على مساحة كبيرة بلغت 400 هكتار ، كما أقيمت على أرضها وعلى أراضي المناطق المجاورة لها عدة صناعات تقليدية ، منها النسيج، والجلود، والفخار، وغيرها. وقد ساهم موقع المدينة في تنشيط حركة التجارة فيها ، فقد كانت حلقة وصل بين المنتجات الفلاحية والحرفية لسكان المدينة، والسهل، والجبل ، كما كانت حلقة وصل لتبادل منتجات إقليم دار السلطان في الشمال ، ومنتجات بايليك التيطري في الجنوب ، كما كانت أرضها ممرا أساسيا للوصول من مناطق الجنوب ، نحو الساحل الأوسط ، ومدينة الجزائر، كما كانت معبرا رئيسيا نحو الغرب والشرق.

ونختم بقول الولي الزاهد سيدي احمد بن يوسف الملياني بقوله في مدينة البلدية بالكلمة الطيبة: *"الناس سموك بليدة، وأنا أسميك وريدة"*. فدامت كذلك .

المصادر والمراجع

أ- باللغة العربية

1. سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال -، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
2. المدني أحمد توفيق ، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
3. خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
4. دودو أبو العيد ، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1850)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
5. كنتور رابح ، الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بالبليدة في أواخر العهد العثماني، محاضرة أُلقيت خلال الملتقى الثاني "متيجة عبر العصور" من 04 إلى 09 ماي 2002، بقاعة محمد التوري بالبليدة.
6. سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
7. سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
8. بفايفر سيمون ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.

9. العنتري صالح ، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة (مجاعات قسنطينة)، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

10. ابن خلدون عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968، المجلد الأول.

11. عبد القادر نور الدين ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الاداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965.

12. العنتري صالح ، سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة أو (مجاعات قسنطينة)، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

13. فلنزي لوسات ، المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1770 - 1830)، نقله إلى العربية لآدي الساحلي، سواس للنشر، تونس، 1994.

14. فون مالستان هاينريش ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، الجزء الثاني.

15. مجلة مرآة متيجة ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، العدد الثاني.

16. مجلة مرآة متيجة ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1986، العدد الثاني.

17. بكوش محمد صالح ، ترجمة وثيقة لأوجين فرومونتان والتعليق عليها، محاضرة أقيمت في الملتقى الثالث "متيجة عبر العصور"، من 26 إلى 31 ماي 2003 بقاعة محمد التوري بالبلدية.

18. سعيدوني ناصر الدين ، الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، السنة 1992-1993.

19. سعيدوني ناصر الدين ، الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني، مجلة الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، العدد الرابع (العهد العثماني).

20. سعيدوني ناصر الدين ، مدونة المدن الجزائرية، في طريقه للنشر، الجزء الأول.

21. سعيدوني ناصر الدين ، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999.

ب- باللغة الأجنبية :

22. Secrétariat social d'Alger: Information rapide, monde rural et monde urbain, Alger, S.N.E.D, 1969, n°4.

23. NACEREDDINE (Saidouni): L'ALGEROIS RURAL ALA FIN DE L'EPOQUE OTTOMANE (1791- 1830), DAR AL-GHARB AL-ISLAMI, BEYROOTH, 2001.

24. de paradis (venture): Alger AU XIIIe siècle, Revue africaine, N° 39, Année 1895.

25 .FRANC (jules): la colonisation de la Mitidja paris champion 1928.

26 .A .PRENANT, V .Lacoste, A. nouschi ; L'Algérie, passé et présent, Ed- Sociales, paris, 1960.

27 .CHAULET (CLAUDINE) la Mitidja autogérée Altamira – rotopress, Madrid 1971.

28 .MONLAU (jean): les états barbaresques, que-sais-je? N° 109, paris, P-U-F, sans année.

29 .FRANC (jules): la colonisation de la Mitidja paris champion 1928.

30 .Colonel (trumelet): Blida, recites selon la légende, la tradition et l'histoire, A-JORDAN, Alger, 1887, T I.

31 .Joëlle (Deluz): urbanisation en Algérie_ Blida, processus et formes, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988.

32 .HABART (MICHEL) : HISTOIRE D'UN PARJURE, LES EDITIONS DE MINUIT.PARIS ,1960.

33 .Deluz (joelle): urbanisation en Algérie_ Blida, processus et formes, office des publications universitaires; Alger, (Algérie), maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN, LYON, France, 1988.

- 34 .Louis (Piesse): itinéraire de l'Algérie, hachette, paris,1885.
- 35 .Benachenhou(a): L'ETAT ALGERIEN EN 1830. E.P.A., ALGER, SANS ANNEE.
- 36 .A (Cour): Deux Documents sur les relations du Gouvernement d'Alger avec lesindigènes de Blida EN Janvier 1836, in R. A, T 51, Annèe1907, ALGER.
- 37 .Bernard (Victor): indicateur général de l'Algérie, description géographique, historique et statistique, bastide, Alger.
- 38 .Mohamed (Ben Messaib): Itinéraire de Tlemcen à la mekk, in R. A, T 44, Année 1900.